المسلمين الذين هالهم أن يساق شبابهم إلى «التجنيد الإجباري»، بعد أن أثقل ذلك الحكم كواهلهم بالضرائب والرسوم الباهظة وعمليات جمع السلاح. وكان الأمر قد صدر من ابراهيم باشا (بتاريخ 5/4/1834) إلى أهل القدس لكي يقدموا، للخدمة الإجبارية في جيشه «مئتي رجل من مدينة القدس، وثلاثة آلاف من كل أقضية القدس ونابلس والجليل»[5]، فاندلعت الثورة في فلسطين عموماً، وفي القدس خصوصاً، وكان مسلحو القدس هم الذين أضرموا نار هذه الثورة باعتبارهم الأكثر تضرراً من سياسة ابراهيم باشا هذه.

أعلن أهالي القدس الثورة على ابراهيم باشا بتاريخ 23 نيسان/ ابريل عام 1834، وكان ابراهيم باشا في يافا، فعاد إلى القدس على رأس قوة من «تسعة آلاف مقاتل»، وما أن دخلها حتى هبّ «اللاتين والأرمن واليهود وفريق من الأرثوذكس» لاستقباله «ولم يقابله أحد من المسلمين»[6]. وهكذا، بينما اتبع المسلمون في القدس سياسة النفور من حكم ابراهيم باشا والثورة عليه، مالأ المسيحيون واليهود فيها الحاكم المصري، فحازوا على رضاه، ونالوا، من جراء ذلك، امتيازات في المدينة، منها ما ساوى بينهم وبين المسلمين ومنها ما جعلهم متفوقين عليهم، (إذ إنه ألغى الكثير من العادات والتقاليد التي كانت متبعة في ذلك الحين، وفيها إهانة للنصارى واليهود، كما أنه أعفى النصارى واليهود والكنائس من بعض الضرائب والرسوم)، ولا شك في أن ما أدخله ابراهيم باشا من إصلاحات على النظام الإداري للمدينة، والتي ساوى، من خلالها، بين المسلمين وباقي الطوائف، كان بدافع التوسل والتودد للدول الأوروبية فحسب[7].

لقد كان عهد ابراهيم باشا، إذن، وعلى صعيد الطوائف في المجتمع المقدسي، عهد تغيّرات جذرية مهمة، فهو قد ألغى الامتيازات التي كانت للمسلمين على باقي الطوائف، وسواء أكان ذلك بدافع الانتقام من المسلمين

---

(5) م. ن. ص 279.

(6) م. ن. ص 283.

(7) انظر هذه العادات والتقاليد والضرائب والرسوم في م. ن. ص 288 ـ 289.
وانظر: Encyclopédie de l'Islam, pp. 335-336.